من جذور التعاون الاسرائيلي - الفارسي في كتب التوراة

د. يوسف قزوني

قسم الدراسات الشرقية - كلية الآداب - جامعة بغداد

ان قادسية صدام الحاضرة بعث وانعاش وامتداد لقادسية العرب الاولى ، حيث اندحر ويندحر يوما بعد يوم الفرس المجوس الطامعون في ارض العرب والاستيلاء على الاسلام وينتصر العراقيون الاباة وحماة الحق العربي المغتصب .

كان، على مر العصور وحقب التاريخ، تعاون وثيق ومتنوع ما بين اليهود والفرس . ولقد بدا ذلك واضحا في هذه الاونة الاخيرة ، واثر الحرب العدوانية التي شنها الفرس المعتدون على عراق الثورة حارس البوابة الشرقية للوطن العربي . اذ ان زعماء الصهيونية وادعياء الزعامة الفارسية بارشاد الدجال الاعظم خميني نسقوا وقاموا سوية بغارات جوية على مركز المفاعلات النووية العراقية اولا . كما ان الكيان الصهيوني زود ولا يزال يزود العدو الفارسي بقطع غيار الطائرات الفانتوم الاميركية الصنع وغير ذلك من السلاح من اجل مواصلة قصف المدن والقرى العراقية الامنة والمنشآت المدنية والاقتصادية لقطرنا الناهض للبناء والتطوير والتقدم .

ولمثل هذا التعاون الاثيم والغادر جذور عميقة ومتأصلة ورد ذكرها في بعض اسفار التوراة العبرية .. وان بحثنا هذا سوف يتناولها هنا ويوردها بايجاز مقتصرا على ذلك فقط .

سفر أخبار الايام الثاني

في التوراة العبرية نجد سفرين يرويان « الامور التي أهملت »والتي تكمل النقص في الاحداث الوارد ذكرها في الكتب التاريخية من التوراة . وقد دون هذان السفران في حقبة كان فيها العنصر اليهودي يعيش بأدارة كهنته الدينية وحيث كان يتمتع بنوع من الحكم الذاتي المستقل . اما السلطة المدنية والسياسية فقد كان محروما منها لانها كانت في قبضة الفرس[1] . وان مؤلف السفرين ربما كان واحدا من اللاويين ومن اهالي القدس العائشين تحت اكناف هيكل اورشليم . ولقد وضع هذين السفرين من بعد عهد عزرا ونحميا ، اي خلال القرن الثالث قبل الميلاد[2] .

ففي خاتمة سفر اخبار الايام الثاني نجد ما يؤكد وجود التعاون الذي كان قائما بين حكام الفرس واليهود الذين كانوا منذ عهد الملك نبوخذنصر العظيم يعيشون في بابل في العراق مبعدين عن فلسطين.والى القارىء هذا النص التوراتي :

« فأصعد عليهم ملك الكلدانيين ... والذين نجوا من السيف جلاهم الى بابل حيث صاروا عبيدا له حتى ملكت دولة فارس ... وفي السنة الاولى لكورش ملك الفرس . لكي يتم ما تكلم به الرب بفم ارميا ، نبه الرب روح كورش ملك الفرس فاطلق نداء في مملكته كلها وكتابات ايضا قائلا: جميع ممالك الارض قد اعطانيها الرب اله السماوات واوصاني بأن ابني له بيتا في اورشليم التي بيهوذا ، فمن كان منكم من شعبه أجمع فالرب

(1) H. CAZELLES, **Chroniques,** dans **Bible de Jérusalem,** p. 403, col. 1.

(2) H. CAZELLES, **Chroniques,** dans **Bible de Jérusalem,** p. 403, col. 1.

الهه معه ، فليصعد »[٣] .

هكذا اذن صدر امر كورش الملك الفارسي بالسماح بعودة اليهود الى فلسطين في عام ٥٣٨ قبل الميلاد . فأخذ اليهود يغادرون بابل رويدا رويدا فيقصدون اورشليم وغيرها من المدن والقرى الفلسطينية[٤] . فهذا النص يكشف لنا عن نوايا الحاكم الفارسي في حينه ، حيث كانت منافية للارادة البابلية القاضية بعدم بقاء اليهود في فلسطين ، اضافة الى تأكيد النص اعتناق الحكام الفرس لاي دين دونما ايمان وعقيدة ، تماما كما هو حالهم الان .

سفر عزرا ونحميا

كتب هذان السفران في نفس الفترة التي وضع فيها سفر اخبار الايام ، ومن قبل اشخاص قاموا بجمع مذكرات كان عزرا ونحميا قد دوناها ابان العودة الى فلسطين . وكان اولئك الاشخاص ينتمون هم ايضا الى نفس المدرسة اللاوية الملتفة حول هيكل اورشليم . ولقد حدث ذلك خلال القرن الثالث قبل الميلاد[٥] .

أ ـ ان سفر عزرا يبتدىء بنفس النص الذي اوردناه قبل قليل في خاتمة سفر اخبار الايام الثاني . ومن ثم يستمر هكذا : « فليصعد الى اورشليم التي بيهوذا وبين بيت الرب اله اسرائيل ، وهو الاله الذي في اورشليم . وكل من بقي في احد المواضع حيث هو متغرب ، فليحدده اهل موضعه بالفضة والذهب والمال والبهائم ، فضلا عما يتطوعون به لبيت الله الذي في اورشليم . فقام رؤساء آباء يهوذا وبنيامين والكهنة واللاويون مع كل من نبه الله روحه ليصعدوا لبناء بيت الرب الذي في اورشليم ...

---

٣ ـ سفر اخبار الايام الثاني : ٣٦ ، ١٧ ـ ٢٣

(4) A. GELIN, **Nsdras & Néhémie**, dans **Bible de Jérusalem**, p. 404, col. 2.

(5) A. GELIN, **Nsdras & Néhémie**, dans **Bible de Jérusalem**, p. 404, col. 2.

واخرج الملك كورش آنية بيت الرب التي كان قد اخرجها نبوخذ نصر من اورشليم ووضعها في بيت آلهته ؛ اخرجها كورش ملك فارس على يد متردات الخازن وعدها لششبصر رئيس يهوذا ... جميع آنية الذهب والفضة خمسة الاف واربعمائة أصعدها ششبصر عند اصعاد أهل الجلاء من بابل الى اورشليم »[٦] .

« وسمع اعداء يهوذا وبنيامين بأن بني الجلاء يبنون هيكلا للرب اله اسرائيل . فأقبلوا ... وقالوا لهم : نحن نبني معكم ، لاننا نطلب الهكم مثلكم ونحن نذبح له من ايام اسرحدون ملك اشور الذي صيرنا الى هنا ... فقال لهم زربابل ... نحن نبني للرب اله اسرائيل كما أمرنا الملك كورش ملك فارس . وكان شعب الارض يرخون ايدي شعب يهوذا ويقلقونهم في البناء . فأستأجروا مشيرين ضدهم ... جميع ايام كورش ملك فارس الى ان ملك داريوس ملك فارس » .

وفي ايام احشورش في اول ملكه كتبوا شكوى على سكان يهوذا واورشليم ... وكان نص الرسالة بالارامية ... : من عبيدك الذين في عبر النهر سلام . ليكن معلوما لدى الملك ان اليهود الذين صعدوا من عندك قد اتوا الينا ؛ وهم يبنون اورشليم المدينة المتمردة الشقية . وقد رمموا الاسوار وسوف يحوطون اسسها ... فاذا بنيت تلك المدينة وكملت اسوارها فلن يؤدوا الخراج ولا الجزية ولا الضريبة وهي ستضر بجزية الملوك . وحيث اننا اكلنا ملح القصر لم يكن لائقا بنا ان ننظر الى مساءة الملك ، فارسلنا واعلمنا الملك لكي تبحث في سجل تواريخ آبائك حيث تجد فيها وتعلم ان هذه المدينة مدينة متمردة ومسيئة الى الملوك والاقاليم وانهم يثيرون فيها شغبا منذ قديم الدهر ولذلك خربت هذه المدينة . فنعلم الملك انه اذا بنيت هذه المدينة وكملت اسوارها فلن يكون لك نصيب في عبر النهر هذا . فأرسل الملك الجواب : ان الرسالة التي بعثتم بها الينا قد قرئت بين يدينا جهرا ،

---

٦ — سفر عزرا : ١ ، ٢ — ١١

ولقد امرت فبحث ووجد ان هذه المدينة قامت في قديم الدهر على الملوك ويحدث فيها تمرد وفتنة ... والآنَ ابرزوا امرا بكف هؤلاء الرجال لئلا تبنى هذه المدينة ... واحذروا ان تتهاونوا في تنفيذ ذلك لكيلا يتفاقم الفساد لاذى الملـــــوك .

فلما تليت رسالة الملك ارتحششتا امام رحوم الوالي شمشاي الكاتب ورفاقهما بادروا في الذهاب الى اورشليم وكفوا اليهود بالذراع والقوة . فتعطل عمل بيت الله الذي في اورشليم ، وبقي منقطعا الى السنة الثانية من ملك داريوس ملك فارس[٧] . «حينئذ ابرز داريوس الملك امرا للبحث في دار الاسفار حيث كانت الخزائن مودعة في بابل ، فوجد في احمتا في القصر الذي في بلاد ماداي درج مكتوب فيه هكذا : تذكار : في الســنة الاولى لكورش الملك ، ابرز كورش الملك امرا في حق بيت الله في اورشليم بأن يبني البيت المكان الذي كانوا يذبحون فيه الذباح وبأن توضع اســسه ... وبأن ترد ايضا انية بيت الله مــن الذهب والفضة ... ولقد بــرز امر مني ... بأن تعطى النفقة معجلة من مال الملك ومن خراج عبر النهر لهؤلاء الرجال لئلا يتعطلوا ... وقد ابرزت ان كل من يخالف هذا الكلام يقلع الخشب من بيته وينصب ليعلق عليه مصلوبا ... أنا داريوس قد امرت ، فلينفذ عاجلا [٨] .

« من ارتحششتا ملك الملوك الى عزرا الكاهن كاتب شريعة اله السماء الكامل سلام . اني ابرزت امرا ان كل من شاء في مملكتي من شعب اسرائيل وكهنته واللاويين ان يرجع الى اورشليم فليرجع معك ... وانت يا عزرا ، بحسب حكمة الهك الذي معك ، أقم قضاة وحكاما يقضون بين جميع الشعب الذين في عبر النهر ... وكل من لا يعمل بشريعة الهك وشريعة الملك،فليقض عليه عاجلا اما بالموت او بالنفي او بغرامة مالية او بالحبس »[٩] .

---

٧ — سفر عزرا : الفصل الرابع
٨ — سفر عزرا : ٦ ، ١ — ١٢
٩ — سفر عزرا : ٧ ، ١٢ — ٢٦

وفي الفصل العاشر والاخير من سفر عزرا ، نجد عزرا الكاهن يجمع كل بني الجلاء في مدينة اورشليم لكي يعترفوا بآثامهم ، ثم يأمرهم بالابتعاد عن امم الأرض ويوعز الى الرجال والكهنة بأن يعتزلوا النساء الغريبات اللواتي كانوا قد تزوجوهن[١٠] .

ان هذه النصوص واضحة ولا تحتاج الى تعليق . والقارىء يستدل منها على مدى اعتزال اليهود للامم الاخرى قديما وحديثا . كما يتراءى لنا فيها التعاون الاسرائيلي الفارسي والشغب والفتن التي يزرعها اليهود على مر العهود في كل مجتمع يعيشون فيه ...

ب ــ في سفر نحميا الزعيم اليهودي المزامن لعزرا الكاهن ، نقرأ ما يلي : « وكان انه لما سمع سنبلط وطوبيا وجاشم العربي وسائر اعدائنا بأني قد بنيت السور ولم تبق فيه ثلمة ... بعث الي سنبلط وجاشم يقولان : هلم نتلاق معا في سهل انو ، وقد اضمرا لي السوء . فوجهت اليهما رسلا وقلت لهما ... لا استطيع النزول مخافة ان يتعطل العمل اذا تركته ونزلت اليكما ... فبعث الي سنبط بمثل ذلك مرة خامسة مع غلامه برسالة مفتوحة في يده مكتوب فيها : قد سمع في الامم ، وجاشم يقول انك انت واليهود تضمرون التمرد ولذلك انت تبني السور لتصير ملكا عليهم بهذا الوجه»[١١] .

هكذا اذن يظهر لنا هذا النص العداء القديم الدفين والموروث ما بين اليهود الذين كان نحميا يتزعمهم بأمر من ملوك الفرس وبين العرب الذين كانوا ممثلين بجاشم العربي .

سفر استير :

لسفر استير صيغة قصيرة في العبرية وصيغة اطول في اليونانية[١٢] ، ونصه اليوناني كان موجودا في عام ١١٤ قبل الميلاد حيث ارسل الى مصر

١٠ــ سفر عزرا : الفصل العاشر ، وانظر ايضا سفر نحميا : ١٣ ، ٢٣ ــ ٢٨

١١ــ سفر نحميا : ٦ ، ١ ــ ٦

(12) A. BARUCQ, **Esther**, dans **Bible de Jérusalem**, p. 493, col. 1.

للتصديق على عيد فوريم أعني ذكرى مردخاي[١٣] . اما نصه العبري فهو اقدم ، لان سفر المقابيين الثاني يؤكد ان يهود فلسطين كانوا يحتفلون بذكرى مردخاي منذ عام ١٦٠ قبل الميلاد[١٤] ، وهي الذكرى التي تدل على معرفة قصة استير ووجود سفرها . اذ يمكن تحديد تاريخه في نهاية العهد الفارسي او في بدايات العصر اليوناني[١٥] .

ان سفر استير هذا يروي لنا قصة امرأة يهودية جميلة اسمها استير تزوجها احد ملوك الفرس . وكان اليهود المقيمون في مملكة فارس مهددين بالفناء على ما يبدو من قبل هامان الوزير الفارسي المتنفذ . بيد ان استير الحسناء ، التي كان مردخاي قد تبناها وهي ابنة عمه اليتيمة ، تدخلت لدى الملك الفارسي بعدما اصبحت ملكة من اجل انقاذ مردخاي وبني جنسها من الخطر الداهم . فانقلبت الاية وشنق هامان بدلا من مردخاي الذي اصبح وزيرا مكانه . وقتل اليهود اعداءهم بفضل مردخاي واستير اللذين كانا يتعاونان مع الحكم الفارسي القائم . وعن اوجه التعاون اليهودي الفارسي نقرأ الكثير في سفر استير . ومنه ما يلي :

« كان في ايام احشورش ... الذي ملك من الهند الى كوش ... في السنة الثالثة من ملكه انه صنع وليمة لجميع زعمائه وعبيده وجيش فارس وماداي واشراف الفراتيين ... »[١٦] « وكان في شوش العاصمة رجل يهودي اسمه مردخاي ... اخذ من اورشليم مع اهل الجلاء ... الذي جلاه نبوخذ نصر ملك بابل . وكان حاضنا لاستير ابنة عمه ، اذ لم يكن لها اب ولا ام . والجارية جميلة الشكل حسنة المنظر ... ادخلت استير بيت الملك ... ولم تخبر استير بشعبها واقاربها ، لان مردخاي اوصاها بان لا تخبر ... فأحب الملك استير على جميع النساء ونالت حظوة ورحمة في عينيه

١٣ــ سفر استير : ١٠ ، ٣

١٤ــ سفر المقابيين الثاني : ١٥ ، ٣٦

(15) A. BARUCQ, Esther, dans **Bible de Jérusalem**, p. 493, col. 1.

١٦ــ سفر استير : ١ ، ١ ــ ٢١

اكثر من جميع العذارى ، فوضع تاج الملك على رأسها وجعلها ملكة ... وفي تلك الايام ، بينما كان مردخاي جالسا بباب الملك ، اضطرم غيظ ... اثنين من حراس الاعتاب وقصدا ان يلقيا ايديهما على الملك احشورش . فعلم مردخاي بالامر واخبر استير الملكة فأخبرت الملك باسم مردخاي . فبحث عن الامر فوجد كذلك ، فعلق كلاهما على خشبة ودون ذلك في سفر اخبار الايام أمام الملك »[17] .

« بعد هذه الامور عظم الملك احشورش هامان ... وجعل مجلسه فوق جميع الزعماء والذين عنده . وكان جميع عبيد الملك الذين بباب الملك يركعون ويسجدون لهامان حسب امر الملك . اما مردخاي فلم يكن يركع ولا يسجد ... لانه كان قد اخبرهم بأنه يهودي ... فقصد هامان ان يهلك جميع اليهود ... الذين في مملكة احشورش ... فقال هامان للملك احشورش انه يوجد شعب منتشر متفرق بين الشعوب في جميع اقاليم مملكتك ، سنتهم مخالفة لجميع الشعوب ، ولا يحفظون سنن الملك فلا يوافق الملك ان يتركهم . فان حسن عند الملك فليكتب في تدميرهم ... فنزع الملك خاتمه من يده ودفعه الى هامان مضطهد اليهود »[18] .

« لبست استير الثياب الملكية ... فرأى الملك استير الملكة واقفة في الساحة فنالت حظوة في عينيه ، فمد الملك لاستير صولجان الذهب الذي بيده ، فتقدمت استير ولمست راس الصولجان . فقال لها الملك : مالك يا استير الملكة وما بغيتك ؟ ولو كانت نصف المملكة فانها تعطى لك . فاجابت استير ... : ان حسن عند الملك ان يعطيني بغيتي ويقضي سؤالي فليأت الملك وهامان الى الوليمة التي اصنعها لهما غدا ... فخرج هامان ذلك اليوم فرحا طيب القلب ... وقال ... : ان الملكة استير لم تدخل احدا مع الملك الى الوليمة التي صنعتها الا اياي ... لكن هذا كله كلا شيء عندي ما دمت

١٧ــ سفر استير : ٢ ، ١ ــ ٢٣

١٨ــ سفر استير : ٣ ، ١ ــ ١٠

ارى مردخاي اليهودي جالسا بباب الملك • فقالت له زوجته ••• : لتصنع خشبة بعلو خمسين ذراعا ، وغدا كلم الملك فيعلق عليها مردخاي ، ثم ادخل مع الملك الى الوليمة فرحا • فحسن الامر عند هامان وصنع الخشبة»(١٩) •

« وفي تلك الليلة ارق الملك ، فأمر ان يؤتى بسفر آثار اخبار الايام وقرىء امام الملك فوجد مكتوبا ان مردخاي كان قد اخبر عن ••• اللذين قصدا ان يلقيا ايديهما على الملك احشورش • فقال الملك : ماذا صنع من الكرامة والتعظيم لمردخاي من اجل هذا ؟ فقال غلمان الملك : لم يصنع لـه شيء ••• فقال الملك لهامان : اسرع وخذ الثياب والفرس كما قلت ، واصنع هكذا لمردخاي اليهودي الجالس بباب الملك »(٢٠) •

« واذ جاء الملك هامان ليشربا مع استير الملكة ••• قالت استير ••• فلتوهب لي نفسي في بغيتي وشعبي في سؤلي ، لاننا مبيعون انا وشعبي للهلاك والقتل والاستئصال ••• فاجاب الملك احشورش وقال لاستير الملكة : من هو واين ذاك الذي يتجاسر بقلبه على ان يفعل هكذا ؟ فقالت استير : رجل مضطهد عدو هو هامان هذا الخبيث • فارتعد هامان امام الملك والملكة ، وقام الملك مغضبا عن شرب الخمر ••• وقال الملك : علقوه ••• فعلقوا هامان على الخشبة التي اعدها لمردخاي وسكن غضب الملك»(٢١) •

« في ذلك اليوم اعطى احشورش الملك بيت هامان عدو اليهود لاستير الملكة • وجاء مردخاي امام الملك لان استير اخبرته بقرابته لها • فنزع الملك خاتمه الذي كان قد نزعـه من هامان واعطاه لمردخاي ••• فخـرج مردخاي من حضرة الملك بثوب الملك السمنجوني والابيض وتاج نفيس من ذهب ••• وكان لليهود بهجة وفرح وسرور وكرامة ••• وصار كثير من امم تلك الارض يهودا ، لان خوف اليهود حل عليهم»(٢٢) •

١٩ــ سفر استير : ٥ ، ١ ــ ١٤
٢٠ــ سفر استير : ٦ ، ١ ــ ١٠
٢١ــ سفر استير : ٧ ، ١ ــ ١٠
٢٢ــ سفر استير : ٨ ، ١ ــ ١٧

« وكان جميع رؤساء الاقاليم ... يساعدون اليهـود ، لان خوف مردخاي وقع عليهم ... فضرب اليهود جميع اعدائهم ضربة سيف وقتـل واهلاك ، وفعلوا بمبغضيهم كما شاءوا . وفي شوش العاصمة قتل اليهود واهلكوا خمسمائة رجل ... واجتمع سـائر اليهود الذين في اقاليم الملك ونهضوا لانفسهم واستراحوا من اعدائهم وقتلوا منهم خمسـة وسبعين الفا ... وكتب مردخاي هذه الامور وبعث برسائل الى جميع اليهود ... وسن عليهم ان يعيدوا في اليوم الرابع عشر من شهر آذار واليوم الخامس عشر منه في كل سنة ... لاثبات يومي فوريم هذين في اوقاتهما»[٢٣] .

هذه النصوص المقتسبة من سفر استير تثبت بوضوح تام مدى تعدد اوجه التعاون الاسرائيلي الفارسي في عصور ما قبل الميلاد . وكذلك يظهر لنا جليا مدى البطش اليهودي العنصـري بمن يدخل في قائمة الخصـوم والاعـــداء .

كان على الدوام ولا يزال هذا هو دأبهم وديدنهم في المراوغة والتزلف لدى اصحاب السلطة ثم الضرب والفتك في الوقت المناسب . فعلى الشعب العربي الناهض والواعي ان يقطع الطريق على الصهاينة ويفـوت عليهم الفرصة لكيلا ينتهجوا مثل هذه الاساليب الماكرة والغادرة[٢٤] .

هذه هي اسفار توراتهم المقدسة لديهم تدمغهم وتشهد عليهم .

٢٣ــ سفر استير : ٩ ، ٣ ــ ٣١

(٢٤) في راينا ان يهود بابل قاموا بأعمال التجسس لحساب الفرس المجوس ، عندما شعروا بضعف الدولة البابلية . فاتفقوا مع الفرس الغزاة وتعاونوا معهم من الداخل غدرا على اسقاط الامبراطورية البابلية الحديثة بعـدما تأكدوا من ان ملوك الفرس سوف يكافئونهم بالسماح لهم بالعودة الى اورشليم محملين بالاموال والهدايا من اجل بناء الهيكل ، يمكننا ان نستنتج ذلك من الاسفار المدروسة في بحثنا هذا ، ولو اننا لم نعثر على مصدر صريح آخر يثبت راينا هذا . بيد ان صديقين قالا لي انه سبق لهما ان عثرا على مصدر كان ينوه جزئيا الى مضمون راينا ، وما عادا يتذكرانه .

مصادر البحث

يوسف قوزي ، الاسفار المقدسة ، الجزء الثاني ، الموصل ١٩٦٦
الكتاب المقدس / العهد العتيق ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٥١

بغداد ، في مطلع نيسان ١٩٨١

BIBLIOGRAPHIE:

A. BARUCQ, **Le Livre d'Esther,** dans **la Sainte Bible de Jérusalem,** Paris 1955.

A. GELIN, **Les Livres d'Esdras et de Néhémie,** dans la Sainte Bible **de Jérusalem,** Paris 1955.

H. CAZELLES, **Les Livres des Chroniques,** dans **la Sainte Bible de Jérusalem,** Paris 1955.

Les livres de la Bible. Leurs seurces et leur apparition, dans (Evangile, No. 37).